

من القصص العربي

## مؤذنين بخلا

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

ما كان بمستطيع أن يحيد عن ذلك ، فقد استغرقت المهنة شعوره ، واستبدت بمواطفه ، وطبعته على غرارها في ميوله ورغباته ، وصقلته على هواها في سماته وتقاسيمه ، فكنت إذا

ما اشتملته بنظرة ، ثبت في قرارة نفسك أن هذا الرجل إنما يعيش عيش الصالحين ، ويهيج نهج الزاهدين ، فكنت تقدر له نهاية شريفة ، وخاتمة حميدة ، وآخرة حافلة بالأجر والثواب

ولقد كان أهل بغداد يقدرون له هذه النهاية ، ولكن للقدر تقدير آخر هو النافذ ، وقد شاء الله أن تكون نهاية هذا الرجل الصالح نهاية الآثم الفاجر ، وخاتمة خاتمة المرتد الكافر ، فانه لني يوم وقد ارتقى سطح المسجد ينادي على الصلاة الوسطي كعادته ، وكان قد سكن بجوار المسجد نصراني هبط المدينة منذ أيام ، فلمح ابنة ذلك النصراني على سطح المنزل وكأنها طلعة الصبح ، أو فلق القمر ، فأخذته رقتها وفنته خفتها ، فأنتهى من أذانه وهو يتحدث بصنع الله الجليل ، ويلهج بذكر الحور العين . فلما صمد للأذان في اليوم الثاني كان من حظه أن رآها كما رآها في اليوم الأول ، وقد عمل في قلبه أن رآها تمشي لرؤيته ، وتبتسم لنظره . ومضت أيام تكلمت فيها العيون وخفقت القلوب ، وتيقظت المواطف ، وأحس الرجل باحساس غريب يدخل على قلبه ، وشعر بطائف يجول بين جوانحه ، واعتراه مثل الدهول فكنت تراه حالم النظر ، سادر الفكر ، شارد القلب . حتى لقد انصرف باله عن المحراب وقل جهده في الطاعة وصار كل وقته يقضيه على سطح

حدث عنه أحد الذين انتهى إليهم خبره قال : لقد كان حميد السيرة ، واضح السريرة ، اسمه « صالح » وهو اسم وقع على معناه ، وانصل بمناه ، فما عهد الناس عليه إلا التقى والصلاح ، ولا عرفوا عنه إلا الورع والاخلاص ، وما رأوه إلا قائماً في المحراب يدعو الله ، أو على سطح المسجد ينادي لله كان يؤدي واجب الأذان في مسجد بغداد العظيمة ، وكان ندى الصوت عذب النبرات ، حلو المقاطع قويها ، يخرج نفسه من نفسه ، وينبث صوته من قلبه ، فكان طائفة للمعابد ، ورهبة للجاحد ، وزجراً للمفرط . وأكثر ما كان يتضح فيه ذلك ويظهر إذا ما هب مع نسيم الفجر البليل والكون خاشع منصت ، حتى لقد كان يحشاه أولئك الساهرون في بغداد على الكأس والسامرون بانتهاب اللذات ، فإذا ما الليل ضره ذنب السرحان نهضوا عن مجالسهم قبل أن يدركهم « صالح المؤذن » فيفرعهم « بندائه » لله ، على ما فرطوا في جنب الله ! ولقد سأل في أداء مهمته أربعين عاماً كاملة ، فظل هو هو على ما عرفته مهمته من أول يوم وفاء وإخلاصاً ، ما ونى ولا أهمل ، ولا أدخل بواجب المهنة وما يليق لها من مظاهر الجلال والورع ، وكأني به

(١) لهذه القصة حقيقة في كتب الأدب وقد توسعنا في وضع حوارها على ما تخيلناه

يجب إلى مضجع الفتاة الشريفة في غير مبالاة ولا حرج ، كأنه قد أمن الرقيب ، واستخف بالحامي ، ونسى الله ...

قال الرجل : مهلاً يا فتاتي ، فاجتِ إلا على وعدٍ من ناظريك ، وما أحسبني أذنت إذا كان قلبي قد سمع النداء قلبي ، وإني لأحس أنك تبادليني عاطفة بعاطفة ، وشعوراً بشعور . ولقد انطلق لسانك بنقيصتي وهي نقيصة لا أقبلها منك إقراراً لحق ، وإن كنت أَرْضاها إشباعاً لرغبة الدلال فيك ، فالدلال من شيم الحسان ، والدلال كما يقولون هو روح الحب به يحيا وبه يدوم ، وكل ما أرجو ألا يكون كلامك عن عقيدة ، فعاذ الله أن أطلب في حبك شهوة البدن ، أو رغبة الجسد ، ولكنني أطمع أن تصلي بين قلبي وقلبك ، وأن تمتلئ روحي بروحك ، وأن تغمريني بفيض رضاك وعطفك نصيبك من قلبي كما قد عهدته

وما لي بحمد الله منك نصيب

وما أدعى إلا اكتفاء بنظرة

إليك ودعوى العاشقين ضروب

قالت الفتاة : كأنك قد فهمت خاطر نفسي ، فأنما أردت إلا اختبار هواك ، ولن يربيني منك أ كنت تكتفي بالنظرة ، أم كنت على مذهب « فتى قريش »<sup>(١)</sup> في العبت والفتك ، فقد بما قال صاحبكم : وقد زعمت ليلي بأنني فاجر

لنفسى تقاها أو عليها فجورها

ولكن قل لي بربك : كيف أستطيع أن أقرب بين قلبيين باعدت بينهما العقيدة ، وأن أمزج روحيين فرق بينهما الدين ، وكيف يمكن أن أبادلك ما تريد

(١) هو عمر بن أبي ربيعة

المسجد يرقب طلعة صاحبه ، ولقد كان يؤدي واجب الأذان فما يدرى أداء على التمام أم قصر ، وهل تحمى فيه الوقت أم تأخر ، فكان كما يقول القائل : وأصلى فأغلط الدهر فيما بين سبع وأربع وثمان ومواقبت جثتها لست أدري

ما أذان موقت من أذان

وفي ليلة من الليالي ، انطلق الرجل على سجيته وانفلت مع طبعه ، واستكان لغيرته ، فتربص حتى سكنت نائمة الناس ، وأيقن بخلو المنزل إلا من فتاته فدخل إليها في وئام واحتراس ، حتى وافاها موافاة المهجور للواحة الظليلة .. وقال الرجل فيما قال لفتاته : ها هو ذا جسمي قد انتقل إليك بعد أن عصفت بقلبي ، وسللت روحي ، وسلبتني اللب والرشاد ، وما أحسبني متفعلاً بنفسى إذا ما تحطم أملى عندك وخاب رجائي فيك . فيا منى النفس ، ويا ربيع القلب ، ويا جمال الهوى ، ويا مسلاة الكئيب ، ارحمني صباً قد نغذب في هواك

واستيقنى أن قد كلفت بكم

ثم افعلى ما شئت عن علم

قالت الفتاة : أهكذا أنتم يا أهل الأمانات !

تخدعون الناس بظواهركم ومظاهركم ، وما أنتم من وراء هذه الظواهر والظاهر إلا نفوساً مرتظمة بأحوال الرذيلة ، وأقذار الشر . لقد غششت الناس في حقيقتك يادعى الصلاح الخسبوك في كثير من صفاء الروح ، وطهارة النفس ، ولو تكشف لهم باطنك لرأوا فيك أخا الشيطان ، ولعلموا أن ذلك الصوت الذى ينطلق باسم الله فيحضهم على البر ، ويهيب بهم إلى الطاعة ، ليس إلا صوت منافق ، أولى به أن يكون واعظ نفسه ، وزاجر قلبه ، فلا

أنا في عقيدتي ، وكوني أنت في إيمانك ، ولكن  
سواء في الحب ، قلبي وقلبك يخفقان بالشعور  
التوافق ، والإحساس المتبادل ، إحساس الحب  
النبيل ! !

قالت الفتاة : ما كنت أعلم يا صاحبي أنك من  
الإصرار على عقيدتك إلى هذا الحد ، فليتك في  
مثل ذلك من الإخلاص للحب الذي تزعمه ، ولكن  
يخيل إلي أن لسانك يقول شيئاً وقلبك يطوى شيئاً .  
ولو كنت كما تزعم من الغرام بي لما أبيت رغبتى .  
وما دمت تزعم أن الدين لله ، والحب للقلوب ، فلا  
يسمى إلا أن أكون كما تحب ، على أن تعرف لقلبك  
حقه من المتاع واللذة ، فمهما اتبعتني إلى النافذة التي  
تطل على دنيا الحب وعالم الغرام ، وليست هذه  
النافذة إلا كأساً من بنت الكرم ، أو إن شئت  
قل من رحيق الحب ، تقبلها بشفتيك ، فإذا أنت  
في دنيا من النشوة والأنس والسرور ، وإذا أنا لك  
بروحى وقلبي وجسمي ، فما الحب إلا للروح والقلب  
والجسم ... وما أداة ذلك إلا الصبوة تذكيها الكأس :  
ما بيننا رحم إلا إدارتهم

والراح حرمتها أولى من الرحم  
قال : ويحك يا مأكرة ! لقد أردت لي ما هو  
أشنع وأقطع ، وجردت على سيفك هواً ضي وأقطع ،  
كأنك تريدني أن يكون مثلي في الناس كمثل ذلك  
الناسك الذي تحده الشيطان بدخول صومعته ،  
فراهنه الناسك على أن يكون له منه ما يريد إذا  
استطاع ذلك . فلما كان بعد ذلك بأيام ظهر الشيطان  
قريباً من الصومعة في صورة طائر مهبض الجناح ،  
يحاول أن يطلع فلا يقدر ، ويتحامل للنهوض فلا  
يستطيع ، فما رآه الناسك انحلع قلبه شفقة عليه ،

من عواطف الغرام ، وأنت تعلم أن الحب والعقيدة  
سواء ينبثقان في جذر القلب ، ويستويان على الصدق  
والإخلاص ، فمن الواجب أن يكونا على غرار  
واحد من التوافق ، وفي لون واحد من الصفاء .  
وها أنا ذي بين يديك لك قلبي ، ولك روحي ، ولك  
جسمي ، ولك مني كل ما تريد في الحب على شرط  
أن تكون لي على ما أرغب من العقيدة والإيمان !  
قال : وما رغبتك في عقيدتي وإيماني

قالت : رغبتني أن يتحد قلبانا في الحب والإيمان ،  
وأن يكون اتجاهنا نحو السماء اتجاهاً متفقاً في الشكل  
والصورة ، حتى إذا ما دعونا الله ، دعوانه بصوت  
واحد ، وبلفظ واحد ، فهات يدك لتكون على  
هدى المسيح حباً وإيماناً ، وليبارك لنا جنباً وإيماناً ،  
وليشملنا برعايته وحياطته ! !

قال الرجل : عفا الله عنك أيها الفتاة ،  
ولا كان علي من إثم قولتك ، وأرجو ألا تكوني  
مصرة على رغبتك ، فأنها رغبة نائية ، وأنا ما أردت  
أن أعرف قلبي في الحب لأنكره في الدين ، ولا رغبت  
في قربك لأبتعد عن الله إلى هذا الحد ، ولكني  
هويتك على أن الدين لله ، والحب للقلوب . فحرام  
عليك أن تطمسي على أربعين عاماً قضيتها قائماً في  
نواحي الأسحار أدعوا الله والله ، فإذا ما نظرت إليها  
في أطواء الماضي تراءت لي كأربعين خريفاً من  
نور تمتد إلى مثلها في ثنايا المستقبل ؛ وإن روحي  
لترف في وسط هذا النور كالفراشة صاعدة هابطة ،  
فرحة جذلة ، وناهيك به من نور رباني يغمر  
الجوارح ، وينفذ إلى الجوانح ، ويخف بالإنسان  
إلى عالم كله الطمأنينة والراحة والخلود ، فلا أكن أنا

مدرک من والد الفتاة ، فألقى بنفسه من سطح الدار  
يريد النجاة ، ولكنه سك الأرض صكة قوية كانت  
القاضية ...

وأصبح الناس من الغد وفيهم حديث المؤذن  
ذائع شائع ، على أنه قصد إلى ابنة النصراني بالفاحشة  
فأبت عليه حتى يقول كلمة الكفر وبأكل لحم  
الخنزير ويشرب الخمر ، فكفر وأكل وشرب ، فلما  
دب فيه الشراب احتجزة فوق السطح حتى يحضر  
والدها فسقط ثباتاً واحتشد الناس حول جثة  
الرجل فسحبوه على وجهه حتى انتهوا به إلى مربة  
كما يقول الرواة

محمد فرهمي عبد اللطيف

فهم قاحتمه حتى إذا صار به إلى جوف الصومعة ،  
ظهر الشيطان في صورته ، فلم الناسك أنه غلب  
على أمره ولم يسمه إلا أن يجيب الشيطان إلى رهانه  
نفيhre الشيطان بين الزنا أو القتل أو الخمر ، فقدر  
الناسك في نفسه أن الخمر أخفها احتمالاً ، ورأى  
أنه إذا شربها فلا يضر إلا نفسه ، ولكنه لما شرب  
سكر ، ولا سكر عريد ، ولا عريد انطلق إلى قرية  
قريبة فأغوته امرأة بالزنا ففعل ، فصادفه زوجها  
فوكزه الناسك ففضى عليه ، ثم عاد وهو بنوه  
بأوزار الموبقات الثلاث : الخمر والزنا والقتل ، وكانت  
الخمر هي التي دفعت به إلى كل هذا ، وألقت على  
ظهره هذا الوزر الثقيل !

قالت الفتاة : كأنك تريد أن تدخل دنيا الحب  
وأنت روح الناسك وقلب المتحنت وترمت العابد ،  
نغير لك أن تعود إلى المأذنة والمحراب لا ترجعما إلى  
نور الدنيا ... ويعلم الله أني ما مكرت بك يا صاح  
ولكني طلبت لك أمنية التمني ورغبة الراغب :  
وكم قالوا : تمن ! فقلت : كأس

يطوف بها قضيب من كتيب  
وندمان تساقطني حديثاً

كلحظ الحب أو غض الرقيب  
قال الرجل : ماذا ؟ كلحظ الحب أو غض  
الرقيب ! لا ! والله إنك لأغض في القلب والناظر ...  
وأمتنع للنفس والناظر ...

... وسمع صوت والدها بطرق الباب ،  
فنهضت الفتاة فزعة ، ونهض صاحبها صروعاً  
تقول : لقد ذاع السر ، ويقول : لقد انكشف السر .  
وسرعان به ما دفعت إلى السطح ليخفي ، وفتحت  
الباب لوالدها ليدخل ، وحسب المؤذن أنه لا بد

### نصريب

أخطاء مطبعية في قصة (ليلة الوداع) في الرواية عدد ٣٠

| الصفحة العدد السطر | الخطأ      | الصواب      |
|--------------------|------------|-------------|
| ٢٩٤ ٢ ٢            | شر الصواعق | شرى الصواعق |
| ٢٩٥ ٢ ١٥           | للخليفة    | الخليفة     |
| ٢٩٦ ١ ٢٣           | الرهيبة    | الرعبة      |
| ٢٩٧ ١ ٩            | التي       | اللائي      |
| ٢٩٧ ٢ ٢٢           | تبعت       | تبعث        |
| ٢٩٧ ٢ ٢٦           | يخفق أبداً | يصفق أبداً  |
| ٢٩٩ ٢ ٢٦           | أشرف       | أشرق        |
| ٣٠٠ ٢ ٣            | عقلت       | غفلت        |
| ٣٠٠ ٢ ٢٤           | بقية السيف | بقية السيف  |
| ٣٠١ ١ ٥            | يضطجع فيها | يضجع فيه    |
| ٣٠٢ ١ ١٦           | قرب        | اقترب       |
| ٣٠٢ ١ ٢٨           | من عند     | عند         |
| ٣٠٣ ١ ٨            | جبانها     | صبيانها     |
| ٣٠٣ ٢ ١٤           | صارع       | ضارع        |